تقرير عن الحياة الأدبية في مصر

تلقت ((الآداب)) هذا التقرير الهام من كاتب مصري تعرفه ، ولكنها تحجب اسمه عن القراء لتقيه أي سوء او ضرر ...

والمجلة تنشر التقرير بكل موضوعية وتجرد ، اي انها لا تتبنى بالضرورة كل ما جاء فيه ، لا سيما بالنسبة لمواقف تثير الاستغراب يؤكد كاتب التقرير ان بعض الادباء المصريين الذين نحترمهم قد وقفوها في الفترة الاخيرة ...

ولذلك ، فنحن نفتح مجال الرد والمناقشة واسعا امام النقاد وراصدي الحياة الادبية ، وخاصة امام المعنيين في هذا التقرير .

على الرغم من ان مصر كانت على مر الازمان الماضية مركز الحضارة في الوطن العربي ، وعلى الرغم من انها قامت بدور الريادة دائما ، وفي مصر بالذات كان ثمة نبع مستمر التدفق لحركات متتالية فكرية وادبية ، وكانت منذ عصر رفاعة رافع الطهطاوي المورد العربي الحقيقي الاوحد للثقافة في المنطقة ، فانه يلوح في الافق بوادر فترة من انتكاسة ثقافية حقيقية ، نتيجة لما يحدث الان في الساحة الثقافية في مصر ، من محاولات السلطة الادبية الرسمية ، لعزل الكتابة ، واغلاق مجالات النشر ، وسيادة اتجاه ، كان من المفروض انه يعيش دوما على هامش الحياة الثقافية في مصر ـ التي لم تخل ابدا من الطفيليات ـ وقد بدأ يتصدر الحياة الادبية ـ وها هي ذي الجثث المحنطة تخرج من القبور ، وتملأ المجلات والصحف ، ودور النشر الرسمية (بل وانها لتزحف على دور النشر الخاصة بالطبع) . وتبقى مسئولية المثقف الملتزم ، ليس فقط مجرد الفرجة ، او الجلوس في مقهى ، واصدار التأوهات والزفرات (بله المساومة وخلافه) نقول : تبقى المسئولية على كاهل المثقفين ، ليس في مصر وحدها (وهناك من القهر والحصار ما يفوق الطاقة) ولكنها دعوة لكل الكتاب الشرفاء في الوطن العربي ، وفي العالم أجمع ، لكشف هذه الجريمة ، وتعريتها ، وادانتها ، والتنديد بها حتى تسقط .

والتقرير التالي ، لا نستطيع الادعاء بانه سيكون دقيقا وشاملا ، ولكنه مجرد محاولة نتمنى ان تكون مخلصة في ذكر كل ما رأته العينان ، وما تعيه الذاكرة ، منذ الفترة التي حدثت فيها الحرب الاخيرة ...

ان تجاهل الحقيقة ، او اغماض العين عنها ، ذنب لن تغفره الاجيال ، وعلى المثقفين ان يتفهموا ذلك ويعوه ، فالصمت موقف ايضا ، وان القدرة على الابداع ، ليست فقط مجرد الجلوس الى مكتب ، وملء الصفحات بالكلمات ، بل ان الابداع في جوهره كعملية معقدة اشد التعقيد ، تبدأ في لحظة نقاء ، وتكتمل في الشعور بالارتماء في حضن الحقيقة ، وهكذا يحدث التواصل ، وليس ثمة امكانية لحدوثه في مناخ ملوث ، يساهم فيه الكتاب بصمتهم او مساوماتهم ، بمثل ما يحدث ، وللاسف الشديد ، ممن كنا نتصور انهم روادنا ، الذين يجب علينا ـ نحن الاجيال الطالعة ـ محاكمتهم بعنف ، ووضعهم امام مسئولياتهم ، ويجب علينا ان نذكر بكل الغبطة مواقف الكتاب المصريين الشرفاء ، الذين ضموا اصواتهم الى اصوات الشبيبة دفاعا عن الديموقراطية .

واننا لنشيد بموقف الكتاب اللبنانيين وتبنيهم قضية الثقافة وعزل الكتاب في مصر ابان انعقاد المؤتمر الاخير في تونس . كما نذكر بالتقدير والغبطة اصرار ((الاداب)) وموقف الدكتور سهيل ادريس خاصة ، على تبني هذه القضية .

ونشيد هنا كذلك بموقف المفكر الفرنسي الكبير ((جان بول سارتر)) ورفاقه الشرفاء . الرجل الذي حمل دائما راية المبادرة في الدفاع عن القضايا المصيرية .

ان رجعة للوراء تكمل لنا الصورة ، وتبين الفروق الواضحة في مسار الثقافة المصرية ، وليس ما يعنينا في هذا المجال ، ذكر المآثر والبكاء على الاطلال الزائلة من بنايات الثقافة المصرية السالفة ، ولكننا معنيون في المقام الاول ، بما يحدث الان في الساحة الثقافية، في مصر ، وانتكاستها الحالية ، وعلى الرغم من ذلك فانه يجب ان نذكر البوادر المشعة التي انتهت بانتهاء الفترة الثرية في حياة الثورة الوطنية المصرية ، اثر انتهاء دورها الاساسي ، وتقاعسها عن اداء دورها الكامل .

فقد فتح الجيل ، الذي يحمل الان راية النضال الحقيقية بوعيه التاريخي ، ونقائه ، وايمانه بالمنهج العلمي في تحليل قضايا الواقع المعاش ، هذا الجيل الذي يرفع الان راية النضال في الجامعة المصرية، وفي مجال الثقافة ايضا ، والذي تزج خيرة قياداته في السجون المصرية كل يوم ، نقول : فتح عينيه على حياة ثقافية كانت مسايرة للمد الثوري في بداياته ، وكانت بشكل او بآخر ، تمثل خطوة للامام.

فبعد تأميم اهم مجالات الثقافة المصرية (دور النشر ، والسينما والمسرح) قامت عدة مشاريع كان لها اكبر الاثر في التفتح الثقافي الذي حدث اذ ذاك . وعلى الرغم من ان نوعية الكتب التي كانت تصدرها المؤسسة الرسمية (الدار القومية للطباعة والنشر) كانت في حاجة الى انتقاء حقيقي ، فان ثمة بعضا من المؤلفات الجيدة امكن لها ان ترى النور .

كانت هناك عدة سلاسل من الكتب الدورية تصدر بانتظام . أعلام العرب . المكتبة الثقافية . الالف كتاب . كتب التراث . وكانت هناك عدة مجلات تغطي النوعيات المختلفة للثقافة : مجلات الشعر . والقصة والمجلة . والفكر المعاصر . والمسرح . والسينما . هذا بخلاف المجلات

التي تصدر عن دور الصحافة . فما الذي جعل هذه المجلات ، التي من المفروض انها خدمات ثقافية في المقام الاول ، تكف عن الصدور ؟

بخصوص مجموعة المجلات الاولى ، فقد لاقت هجوما عنيفا انتهى بها الى التوقف ، وكان الدكتور لويس عوض حامل لواء هذا الهجوم، ولقد كان هذا الهجوم مصيبا في احد جوانبه ، اذ كانت نوعيـــة المنشور في هذه المجلات لا تمثل في الحقيقة وجه الثقافة المصريـة الجديدة ، وبمجرد صدورها استطاع السلفيون من الكتاب السيطرة على مقدراتها ، واستتبع ذلك بالطبع ، خطأ في سياسة اصدار هذه المجلات . وان اعداد القصة والشعر كلها لا تحفل بأكثر من قطعة أو قطعتين » يمكن وضعها في اطار الادب الجيد ، ولكن كان من المفروض بدلا من ان ينصب الهجوم على اقفالها ، الدعوة الى تغيير سياستها وتغيير نوعية المشرفين عليها ، فما الذي يمكن ان يتوقعه المرء مـن كاتب عفا عليه الزمن ، كمحمود تيمور ، او ثروت اباظة ؟ او ناقـد يمكن التأثير عليه ، وليس له موقف محدد من اية نوعية ادبيـــة ، كالدكتور عبد القادر القط ؟

ولكن ، على الرغم من ذلك ، وفي الساحة الاوسع ، لا يمكننا الا ان نذكر الجهود الطيبة التي قامت بها المجلات التي استمرت فـي الظهور بعد هذه الفترة ، مجلة « الفكر المعاصر » ومجلة « المجلة » ، فعلى الرغم من اختلافنا في المنطلق مع الدكتور زكي نجيب محمود والدكتور زكريا ابراهيم من بعده ، فاننا لا نستطيع ان نقول ان نوعية المنشور في مجلة الفكر المعاصر كانت على هذه الدرجة من الـرداءة التي كانت سائدة في مجلتي القصة والشعر السابقتين ، وعلى الرغم من كل شيء ، فان الاستاذ يحيى حقي أتاح فرصا عديدة لاعمال جيدة لتظهر على صفحات مجلة « القصة » .

كما لا يستطيع احد ان ينكر ما قام به مشروع « الالف كتاب » من تقديم مؤلفات التراث العالمي ونقلها الى العربية ، وكان من الممكن ، لو قدر لهذا المشروع ان يستمر ، ان يجد القارىء العربي بين يديه كما هائلا ذا نوعية جيدة من التراث الانساني .

كما أن سلسلة « اعلام العرب » ، التي كانت تصدر في البداية مرتين في الشهر — كانت محركة للباحثين في مجال التراث العربي ، وحثهم على التنقيب في آثار الاعلام الاول .

وكانت سلسلة المكتبة الثقافية تغطي مجال الابحاث العديـدة ، فاصبحت مجالا يجد فيه البحث المختصر فرصة للوصول الى يد القارىء العادي وبسعر يتناسب مع امكانية على الشراء .

كما كانت سلسلتا « المسرح العالمي » و « مسرحيات عالميــــة » تنقلان وتغطيان ، بالابحاث القيمة الملحقة بها ، حركة المسرح العالمي القديم والحديث .

وكانت مجلة « تراث الانسانية » تقدم ابحاثا أكاديمية تهـــم المتخصص في معرفة اهم جوانب التراث الانساني بشكل عام .

ولكن قدر لهذه الدوريات كلها ان تتوقف ، وكان شرف اقفال هذه المجلات واقعا على كاهل المخططين « لسياسة النشر المباشرة » وعلى رأسهم الدكتورة سهير القلماوي ...

وان ما حدث فيما تلا هذه الفترة ، وخلالها ، حكاية باكملها ، أشبه بالمهزلة الحقيقية .

فقد بدأ الصراع على أشده بين دعاة الادب الجديد ، والادب القديم ، وكان وجه الادب الجديد قد تغير — هذه المرة — تغيرا كيفيا، وبدأت بوادر حركة أدبية وفنية تحمل في غضونها قيمة الادب الحقيقي، مبينة زيف السائد في هذه الفترة ، والذي كان خليطا بين القديم حامل الفكر السلفي ، وبين القديم ذي النوايا الحسنة ، وبيـن الجديد الذي أصبح قديما بفعل الزمن وتطور التاريخ .

كانت مدرسة الواقعية الاشتراكية الاولى قد كفت عن العطاء ، وارتمى روادها محمود امين العالم ولطفي الخولي وعبد الرحمـــن الشرقاوي ويوسف أدريس ، في أحضان المناصب الرسمية ، وبدلا من ان يواصلوا النضال مع النفس ، في تخطي القوالب القديمة ، والمرور بمرحلة الدعائية الى مرحلة الاضافة الحقيقية ، آثروا الراحة في مناصبهم الجديدة .

وما حدث في اعقاب ٦٧ وقيام حركة الادب الجديد ليدعو الى وقفة خاصة ، فأي حكاية غريبة كانت ؟

في بدايات ١٩٦٨ ظهرت بوادر هذه الحركة متبلورة في مجموعة اتجاهات متقاربة ، وكان المجال يدعو الى تجمع خاص خارج مجالات النشر الرسمية التي مرت بمراحل تخبطها السابقة ، وكان ان اصدر مجموعة من الشبان مجلة خاصة (جاليري ٦٨) التفوا حولها وفي نفوسهم شوق شديد لتغيير وجه الادب .

وكان أن حمل الراية — في الساحة المتاحة — جيل بدا لكثرة عدده « مسيرة شعبية » ... لسيادة الادب الجديد النابع من معرفـــة شمولية ، والتفات الى « القيمة الحقيقية » في عملية الابداع .

ولكن الامور ظلت مع ذلك مختلطة الى حد بعيد . على ان ما حدث كان يحمل بعض التباشير ، وقد شاركت الصفحة الادبيـــة لجريدة المساء في دعم هذه الجهود .

وقامت « المعركة » بمبادرة من الشاعر المعروف « أحمد عبدالمعطي حجازي » بفتح الصفحة الادبية في « روز اليوسف » امام الجـدد ليعبروا عن آرائهم في وجه الرسمي والسائد ، الذي كان هو أيضا ، خليطا من القيم الحقيقية والزيف المتفشي . واتهم الجيل الجديد ، الجيل القديم بمعاداته وقفل مجالات النشر في وجهه . ورد الجيل القديم بجهل الجيل الجديد ، وضحالة ثقافته ، وخرجت الامور عن نصابها الصحيح ، وجرت المياه في مصب آخر .

ثم تلقفت هذه الدعوة مجلة « الطليعة » ، فأصدرت ملفا خاصا « هكذا يتكلم الادباء الشبان » ووزعت استمارة تطلب فيها من حاملها الاجابة عن تساؤلات خاصة بموقف حاملها من ابداء رأيه في الادباء القدامى ، وعن رأيه في قضايا الوطن ، ومشكلة اسرائيل ، وبتصفح جديد لصفحات الملف ، نكتشف ان هذه الاستمارات وقعت ربما بطريق الصدفة بين ايدي شبان جدد حقا ، ولكنهم لا يمثلون اية قيمة من اي نوع ، وربما كان ادخالهم في الحلبة مقصودا ، لا ندري ... فقد كانت الامور تجري من اولها الى آخرها ، في طريق خاطـــىء ، وبطريقة مشوشة ، وكانت اشبه بالمعركة التي اختلط فيها المنافقون باصحاب الدعوة ، بالاعداء الصراح ، ورد الكبار الهجـوم بنفـس التهم القديمة الغريبة ، والتي تتجاهل — على فرض حسن النية — المسار الصحيح لاية حركة ادبية طالعة . وساهم حتى لويس عوض في خلط الامور . فبدلا من ان يقوم بدوره النقدي ، ويقوم بدراسة وافية لما وقع بين يديه من اعمال حقيقية ، ورفض للمدعين الزائفين ، أبدى رأيه بوصفه واحدا من الكبار القدامى المدافع عن القديم . على الرغم من ان واحدا لا يستطيع أن يضع الدكتور نفسه في نفس المقام مع الدكتورة سهير القلماوي ، واتهمت الدكتورة المذكورة الشبان كلهم بعدم معرفتهم قواعد الاملاء (وانتهت منهم بهذا القول الفصل !.)

وكان موقف لطفي الخولي ذكيا كعادته نفس الذكاء الاجتماعي الذي يؤمن دائما بجدواه (وقد أثبتت الظروف عكسه) وماذا قال الدكتور عبد القادر القط ؟ نفس الموقف (والطريف في موقف الدكتور من هذه الحكاية — انه قد ثبت فعلا — فضلا عن عدم قراءته لاي عمل من أعمال الشبان في هذه الفترة — انه لم يقرأ الاستمارات نفسها ، والتي من المفروض انه يعلق عليها ، واكتفى بسماع انطباع عام ، وبالطبع — لزوم الشغل — قرأ واحدة ، بالصدفة كانت لاحد أكثر الشبان « هيافة » وفراغا وضحالة !)

وهكذا حدثت « لخبطة » شديدة ، وكأن الحكاية مجرد تبـادل شتائم بين كبار السن وصغارهم ، ولكن كان صوت الغضب ما يـزال

قائما . ووصلت الاصوات الى آذان المسئولين ، وقامت امانة الدعوة والفكر في الاتحاد الاشتراكي بدور ((عظيم)) آخر في احتواء الحركة ، ودعي ((الجدد)) للتعبير عن آرائهم في الساحة الرسمية ، وعلى امتداد القطر كله عقدت ندوات أدبية ليعبر فيها ممثلو الجديد عن آرائهم ، ولم تكن ندوة تخلو من موفد رسمي (فضلا عن ان الندوات نفسها نظمتها أمانة الدعوة والفكر) من قبل منظمة الشباب ، على هيئة أديب شاب ، واحيانا ، ويا للصراحة ، مجرد موظف ، وانتهت موجة الندوات بعقد مؤتمر الادباء الشبان الاول في الزقازيق ، واشيع قبل انعقاده أن رياسته ستوكل الى نجيب محفوظ ، وفي يوم الافتتاح ، (ويا للمفاجأة !) افتتح المؤتمر شعراوي جمعة وزير الداخلية ... ولم يعد ثمة ذكر لنجيب محفوظ .

ولكن استطاع البعض رفع مطالب الجدد ، والمناداة بفتح مجالات النشر أمامهم ، واخراج المعتقلين من الكتاب ، والمناداة بقيام اتحاد عام للكتاب ، يضم كافة القوى الوطنية في هذا المجال ، ولكن هـذا النداء الاخير ، والذي كان من المفروض انه اكبر القضايا المطروحة في المؤتمر ، شطب نصه ، وابعد عن المناقشة ، واختنق في صيغة هزلية سميت توصية بالعمل على وجود اتحاد للكتاب (وكان ان بـــرر المسئولون هذا الرفض بانه ليس في مصر غير اتحاد واحد هو الاتحاد الاشتراكي بنص الدستور !)

وانفض المؤتمر عن تعيين مقررين من الجدد وممثلي الاتحـــاد الاشتراكي (منظمة الشباب) للعمل على تنفيذ توصيات المؤتمـر ، وتسجيلا للحقيقة ، قامت ثمة معركة حقيقية بين بعض الجدد ولجان الاتحاد الاشتراكي ، ولكن النتيجة لم تكن مشرفة ، وانتهت الحكاية ، ـ وككل حكاية ـ بالموت ...

وكانت (جاليري ٦٨) تعاني آلام المخاض ، وفي كل عدد كانت تعاني مشكلة التمويل (لم تكن قد اكتسبت عدد القراء الكافي لتعتمد عليه) وبفضل جهود بعض اصدقائها ، وبعض التبرعات الهزيلـــة ، ومساعدة منتزعة من فم السكرتير العام لهيئات الثقافة المصرية ـ يوسف السباعي ـ وعن طريق ادوارد الخراط ، الذي هو في جانب كبير منه ، مجرد موظف في دائرة السكرتير العام ، وبفضل الصراخ العظيم ، كانت مصلحة السكرتارية العامة ، تتفضل بالقاء عظمة او عظمتين كمساعدة لسد هذه الفوهة الناتجة ، بحجة عدم الوقوف في وجه الجديد ، وضرب المثل ، واعلان الشهادة للبشر كافة باننا : لا نمنع المواهب ولا نقف في طريق الجديد !

وكان تعثر (ثم توقف) (جاليري ٦٨) حزنا جديدا ، ونعتقد انها كانت تجربة في حاجة الى تبلور اكثر ، منذ اللحظة الاولـى ، فلم تكن الامور تجري في طريقها الصحيح المبلور ، في اتجاه جاد وحقيقي ، يشمل فروق التكوين الاول ، ولكن ليس كالفرق بيـــن مجرد التحمس والموهبة الحقيقية الواعدة ، بوضع القيمة الحقيقية النابعة من معاناة الواقع في جوهره موضع الصدارة .

وقد صدر عدد خاص بالقصة القصيرة المصرية كان له دوي كبير فى ارجاء الوطن العربي ، ولكن وقعت فيه نفس الاخطاء ، من تمثيل البعض دون وجه حق ، ووضع الكتاب المعنيين بمجرد ((مشكلة الثقافة)) على نفس المستوى مع المواهب الحقيقية ، مع بعض التجارب التي هي مجرد محاولات شكلية ، واختلط الحابل بالنابل ، ولكن كان الاثر قد امتد الى مجلتي الهلال والمجلة فاصدرتا عددين خاصيـــن بالقصة القصيرة ، ولكنهما كانا اقل دويا ، وحدث فيها خلط وبلبلة اكثر . وكان أن وقع خطأ اساسي في النظرة الى الاديب بنفس مقياس ((هاوي الادب)) المتحمس .

ولم تصدر ((جاليري ٦٨)) بعد هذا العدد سوى عددين كانت على اثرهما قد استهلكت امكانياتها ، وفقـــدت العون المادي بالمرة ، وقام شقاق بين المشرفين على اصدارها ، انتهى بتوقفها التام ، دون حتى أمل في الرجوع .

وكان النشاط الذي دب فيالصفحة الادبية لجريدة ((المساء)) ، منذ بدايات الحركة ، قد انتقل اثر تولي محمود أمين العالم رئاسة تحرير ((الاخبار)) ، الى الملحق الادبي للاخبار ، وكان عبد الفتاح الجمل يناضل بقسوة لتمكين المواهب الحقيقية من الظهور عـــلى صفحات الملحق ، ولكن لم تستمر هذه الحكاية طويلا ، اثر تغير حدث في السلطة السياسية ، أدى الى تغير في المناصب ، أدى (وهكذا) الى عودة المشرف الى الصفحة الادبية لجريدة ((المساء)) المتواضعة ، ولم تمض فترة قليلة حتـــى تغير رئيس تحرير ((المساء)) وجـــاء بدر الديب منشبا أنيابه في وجه المشرف ، مما أدى الى الكف عن نشر الجديد ، واقفلت الصفحة .

ولقد تولى أنيس منصور ورشـــدي صالح الاشراف على الملحق الادبي للاخبار ، وقد نشرا في عدة أعداد تالية مجموعة من القصص تحت مانشيت ((الادباء الشبان)) وكان مثالا رديئا بحق ، والطريف (اذا اعتبرنا للحظة ان الادب الشاب يكتبه صغار السن) ان هؤلاء الشبان قد تعدى أصغرهم الخـــامسة والاربعين ، وهم (هؤلاء انفسهم) قد صدرت لهم مجموعة مشتركة في دار الكاتب العربي ضمن ما كانت تصدره تحت هذا الشعار ((الادب الشاب)) وهكـذا يبدو لنا التلفيق واضحا ، وكان ذلك كله مقصودا لضرب الحركـــة من داخلها ، وبهذه الطريقة من الخبث والسفالة .

وفـي غضون هذه ((المعمعة)) كان ان تـــولى رئاسة تحرير ((الهلال)) رجاء النقاش ، الذي يملك قدرة على التخطيط الناجح في مجال النشر (كأي ناشر غربي) واستطاعت ((روايات الهلال)) تحت اشرافه ان تقدم في بعض اعدادها اعمالا لا نشك في قيمتهــا (على سبيل المثال : موسم الهجرة الى الشمال ، ابناء وعشاق ، صمت البحر ، اميركا .. الخ) . وكان هذا النشاط ، بطريقـــة أخرى خارج مجال المعركة بين القديم والجديد ، يتجلى بسبب بعض العداوات الشخصية لرجاء نفسه ، ثم بسبب التوقيت ، اذ كانت المعركة في نهايتها تقريبا .

ثم ماذا كان موقف الرواد حقا ؟ بالنسبة للويس عوض فقـــد تحدثنا عن موقفه من خلال الاحداث السابقة . أما نجيب محفوظ ، فقد اكتفى ، كعادته دائما ، بتحفظه الشديد ، وتوزيع الابتسـامات على الملتفين من حوله من الشبان في جلسته الشهيرة بمقهى ريش ، وقدم معاونة مادية او اثنتين لـ ((جاليري ٦٨)) لا تنم على اكثر مـن تحفظه هذا ، وكان بامكانه اذ ذاك تقديم أعمال الشبان ، الامر الذي يرفضه دائما ، أو العمل على فتح الابواب لهم ، أو قول رأيه بصراحة فيهم اذا كان رأيه مخالفا للموافقة ، ولكنه كان يبدي رغبته ، أغلب الوقت ، في استمرار هذه ((الهوجة)) بشكل أو بآخر ، ربما لانها تخدم مصالحه في ضرب الاتجاه المعادي (الذي يستحق بالفعـــل ذلك) ، ولكن هذا اذا صح ، موقف غريب لا يخدم المصلحـــة الحقيقية لقيمة الادب الذاتية نفسها . ويساهم الى حد كبير فـــي تشويش الامور ، وقيام المعركة على أسس المصالح الشخصيـــة ، وقد اصبح كاتبنا ((نجما)) الآن ، وكان ـ كما لا يزال ـ يعيش على مآثره السابقة الحقيقية (الثلاثية . ثرثرة فوق النيل . ميرامار . قصته القصيرة الوحيدة : تحت المظلة) .

أما يوسف ادريس فقد مد يد الصداقة المجردة لبعض الشبان ولكنه كان يعاني مشاكله الشخصية ، فاخذ ((يتنبه)) الى نفســه ومستقبله المشرق في ((الاهرام)) ...

وفي اعتقادي ان كثيرا من روادنا يعانون من مشاكل خاصة في مجال الابداع قبل اي شيء آخر (مما يجعلهم يلجأون الى مآثرهم السابقة ، ويعتمدون على كونهم أصبحوا نجوما) ، فان البـــوادر العظيمة التي انجزها نجيب محفوظ ويوسف ادريس كانت نابعة من القوى الكامنة في موهبتيهما الكبيرتين ، وفي حماسهما المبكر (الذي

وان امتد الى الاربعين لكنه هو نفسه) ولكن ذلك ، كما علمنا بيكاسو وهمنغواي وفوكنر وبقية الافذاذ في عصرنا وفي العصور السالفة ، غير كاف بالمرة ، فخلف كل اكتشاف اكتشاف جديد ، وكل عمل يحل مشكلة نوعية سابقة يطرح مشكلة نوعية جديدة ، وهذا هو جوهر الاستمرار .

لكن كاتبينا الكبيرين كفا (كالجميع) اثر البدايات الحقيقية عن مناقشة القضايا النوعية لفنهما ، واقتصرا على مجرد الكتابة التي هي « تأليف » ، استناداً على مجرد القدرة على الكتابة . فعلى سبيل المثال ان الاكتشاف الذي حققه بيكاسو وهو في سن السابعة والعشرين والذي لخصه في قوله : ان اللوحة سطح ، ولا يمكن الايهام باختراقه ، عن طريق البعد الثالث ! قاده بسهولة الى التفكير في الظل كعنصر مرئي ذي حضور ، وحل هذه المشكلة بطرحه – الظل – داخل اللوحة ، على السطح ، وقاده ذلك ، اثر تجارب (يشيب لهولها الولدان) الى التكعيبية . كما يمكننا ان نلمس هذه المعاناة المذهلة للكتاب الروائيين في احاديثهم حول اعمالهم ، وبين يدي القارىء سلسلة الكتب المعروفة Writers at work يجد فيها امثالا عديدة لهذه الانجازات ، وهذا معروف وشائع بالنسبة لبيكاسو ، ربما بسبب استمراريته حتى سن متأخرة ، ودرجة الشهرة التي لقيها ، وفي مساره ، كان دائم الرفض لاكتشافاته نفسها ، بعد ان يشعر (بهذا الاحساس الواعي المنهل) بان اكتشافه نفسه يفرض اكتشافا آخر ، وهكذا .

وكان هذا الرفض الكامن ، متضمنا في ثناياه موقف الرفض العظيم (لنعم) الخانعة ، وحتى في المجال السياسي بالطبع . فالموقف من الرفض واحد ، هو كما في مجال الابداع ، ومعاناة المشكلات النوعية والشكلية ، كما في مجال الممارسات العملية للقضايا المطروحة يوميا . وحتى لا يحور هذا الكلام ، لا انسى ان اذكر ان هذه القدرة على النفي ، قدرة على ابراز القيمة ، واظهار الجوهري .

هكذا يمكن ان يقال ، وعلى هذا الاساس ، بعد فكرة «البكور» لمبدعينا ، تنضب الآبار ، ويكفون عن العطاء ، وان الانتباه الحقيقي والحذر الحقيقي – ليس مجرد التحفظ في الحديث في المقاهي (فكلنا يعرف ان في كل مقهى عيونا ، وعلى كل تليفون مراقبة) ولكن في الخطر الكامن وراء خطوات السير في طرق النضوب المهلكة .

وانت يا سيدي توفيق الحكيم ، كيف يمكن ان يتحدث المرء عن قصة الاديب (ق.ع) (وانت الآن في موقف جديد ؟) التي زورتها ونشرتها على صفحات « الاهرام » بقصد الاساءة الى جيل . ما الذي جعلك تحاربه بهذا الاسلوب ، وعلى هذه الدرجة من القسوة ؟ ثم افتراضك الغريب ، الذي يتضمنه موقفك بالطبع ، لخلوه من موهبة ربما حققت آمالك انت نفسها في الادب ؟ كيف يمكن للواحد ان يتذكر هذه المسرحية ولا يشعر بالخجل الشديد ؟

اننا ، على كل حال ، نتمسك بك باعتبارك صاحب موقف جديد ، هذا الموقف البطولي ، واصدارك للبيان الشهير ، وربما كان هناك عذر لكبار السن ، نظرا للهرج والمرج الذي ساد في تلك الفترة وكان باعثا للخوض في اللعبة ، بنفس الطريقة وعلى نفس المستوى .

* * *

واكمالا لبعض ملامح الصورة نذكر بعض الاحداث التالية ، والتي كانت جارية في هذه الفترة ، فقد دخل الحلبة ايضا الشاعر صلاح عبد الصبور ، ونذكر كم كان قد تخلى عن صلاح عبد الصبور مبدع « أحلام الفارس القديم » و « الناس في بلادي » ورضي بمنصبه في الدار القومية للطباعة والنشر ، وكم حارب – من خلال منصبه – بالفعل مواهب حقيقية ! ولقد بشرنا في أحد أعداد الملحق الادبي لجريدة « اخبار اليوم » (الذي كان قد انتقل الى ايدي رشدي صالح وانيس منصور ، وتحول بفضلهما الى غثاء يضاف كل يوم أحد لمجموع ما هو قائم فعلا من غثاء) بأنه سيقوم بعمل دراسة متكاملة عن الأدب الجديد (وكم خالج البعض من أمل ، في أول صوت ياتي مختلفا ويقيم الحركة بجدية !) ، ولكننا نفاجأ في أول مقال تال بتناوله لكاتب متواضع الموهبة (لكنه مهذب ولم ينل من صلاح عبد الصبور وقد كانت الهوجة موجهة بعض غضبها اليه ...) . وقد أثبتت الظروف التالية (الكاتب الشاب المذكور لا يتورع الآن عن الخيانة الصريحة واصبح واحداً من حاشية صالح جودت) أثبتت ضحالته وزيفه . واذا بصلاح عبد الصبور – ودون استناد الى أي منهج نقدي أو أساس فني سوى معاداته لبعض الشبان الذين تجرأوا على شتمه والكلام عنه بما لا يليق – اذا به ينصبه أميراً على حركة الادب الجديد !

وفي المقال التالي ، وتأكيداً للمسألة الشخصية ، يتناول صلاح عبد الصبور كاتبين دفعة واحدة ، هو يعرف وجه التنافس بينهما ، ويضع كلاً منهما في مواجهة الآخر – جمال الغيطاني ، ويحيى الطاهر عبد الله – ويدني للاول « منحة » تؤهله لان يطلق عليه وصف كاتب ، ويسلب الآخر هذه المنحة ، ويسميه « مشروع كاتب » ! ويا له من تحيز واضح ، ووقيعة متعمدة بين صديقين متنافسين بشرف في مجال يحق فيه التنافس ! وانتهت مقالات الكاتب بهجوم انصب عليه من كل اتجاه ، وفي النهاية ايضا ، لم يحدث شيء .

ولقد كان لهذه الحكاية كلها – المعركة بين الجديد والقديم – مؤيدوها ومعارضوها ، وكان الجميع يتخبط ، غير ان ثمة بادرة كان من الممكن ، لو قدر لها الاستمرار ، أن تثمر كثيرا . فقد بدأ حوار فعلي ، وعلى نفس المستوى من كل بادرة حقيقية ، بين طرفين ادعى كل منهما الانتساب للواقعية الاشتراكية ، ولكن يمكن تلخيص موقف كلا الطرفين ، في الانتماء الى كل من مدرسة الواقعية بلا ضفاف ، والواقعية الاشتراكية الكلاسيكية ، ولها سندها الحالي في الصراع الذي ما يزال دائرا بين النقاد الواقعيين في العالم كله . وكان يمثل اتجاه الواقعية بلا ضفاف ، الناقد الروائي غالب هلسا ، ويمثل الاتجاه الآخر ابراهيم فتحي وخليل كلفت ، وكان أن أثمر هذا الحوار عدة مقالات جيدة على صفحات « جاليري ٦٨ » وصفحة المساء الادبية ، ودخل في الصراع شفيق مقار وصبري حافظ وادوارد الخراط .

ثم كانت هناك أحداث تجري في مجال الشعر العامي ، يجدر الاشارة اليها ، على وجه التخصيص . ففي نفس فترة ظهور كتاب القصة والشعر الجدد ، كانت ثمة مجموعة – وهذه في الحقيقة لا يمكن حصرها على وجه الدقة نظرا لطبيعة الشعر العامي وشيوعه في أرجاء مصر – تحاول الوقوف بجوار المدرسة التي رسخت اقدامها من قبل وعلى رأسها صلاح جاهين ، وعبد الرحمن الابنودي ، وقد قصدهما الجدد – هما بالذات – باعتبار ان الاول قد تخلى عن الشعر الى انواع أخرى اكثر درا للربح ، واعتبار الثاني تخلى عن النضال في أشعاره الى كتابة الاغاني الخفيفة والملاحم المفتعلة ، والتجارة بالاحداث الجارية .

ولقد رفع هذا الجمع – بعيدا عن هذا الهجوم الخاص – من شعراء العامية المصريين ، راية النضال الحقيقية ، وعملوا بكل قدراتهم على الذهاب الى الجماهير ، في القرى والانحاء والتجمعات الطلابية ، ومكنتهم طبيعة الشعر العامي من الاقتراب من قطاع عريض من الجماهير المصرية – التي كانت قد تكشفت لها الحقائق وبدات في ثورة غضب – واصبحت اغنيات الرفض لاحمد فؤاد نجم ، ونجيب شهاب الدين ، ومحمد سيف ، وأسامة الفزولي وغيرهم كثيرين ، تتردد على كل لسان ، كأغنيات تحمل أشواق المقلوبين على أمرهم

وتبشر بآمالهم في غد أفضل . كصوت رافض للقهر ، والزيف ، والتسلط ، وتشويه وجه التاريخ . وان هؤلاء بالذات يعانون الضرب العنيف واليومي ولكنهم يقفون بصلابة وشرف مع الطلائع الجديدة من مثقفين وطلاب ، في خوض معركة الديموقراطية ، ورفض الحلول الانهزامية .

ولقد كان ثمة دور حقيقي وجاد ، قامت به مجلة « الطليعة » المصرية ، اثر صدور الملحق الادبي لها ، وكانت أول بادرة جادة تتناول الادب الجديد بتقييم نقدي جاد ، وعلى امتداد عام وعدة أشهر ، أصدر الملحق دراسات لاهم الكتاب الشباب (وان كان قد تنوسي كاتب أو اثنان ، فانه خطأ صغير) ولكن المهم ان هذه الدراسات التي تناولت كلا من أمل دنقل ومحمد عفيفي مطر وابراهيم ابو سنة وعبد الرحمن الابنودي من الشعراء ، وابراهيم أصلان وعبد الحكيم قاسم ويحيى الطاهر وجمال الغيطاني ومحمد ابراهيم مبروك ومحمد حافظ رجب من القصاصين ، كانت دراسات جادة في المقام الاول ، وأصبح من الممكن القول بأن ما حدث على صفحات « الطليعة » ، كان تناولا جادا (لاول مرة) لادب الشباب ، وكان النشاط الذي امتد على صفحات الملحق الادبي هو آخر عهد الحياة الادبية من نشاط في مصر ، ليس فقط لهذا الاهتمام الخاص بالادب الجديد ، ولكن لان الملحق بالفعل كان يقدم مستوى جيدا في كل ما ينشر ، وكان قد بدأ في ادارة حوار حقيقي بين الاجيال المختلفة ، ولكن جاء العزل وشمل أهم المشرفين على اصدار الملحق : غالي شكري ، والدكتورة لطيفة الزيات ، وصبري حافظ .

وبالطبع ، أصبح الملحق محاصرا بالجو العام السائد الان ، وقد غدا مسخا لا يمثل الكثير في الحياة الادبية ، نظرا للظروف العامة التالية .

وبعد أن هدأت معركة القديم والجديد هذه ، حاولت مجموعة من الكتاب ، انشاء جمعية أدبية سميت « كتّاب الغد » كان أغلب أعضائها من الشعراء والكتاب ينطلقون في البداية من نقطتين أساسيتين ، أولاهما : رفض اجهزة الدولة الادبية لما هي عليه من فساد وضحالة وزيف ، وثانيتهما : تبني قضية الوطن في أشعارهم ومقالاتهم . ولئن كانت الجمعية لم تقدم انتاجا واضحا سوى ديوانين متوسطي القيمة ، فان ندواتها كان واضحا فيها هذا الاتجاه ، الذي ينحي منحى اجتماعيا ، وربما بالتضحية بالقيمة العالية من الفن .

وعلى الرغم من ان الجمعية ـ ومنذ انشائها ـ لقيت حربا لا هوادة فيها (كسعي أجهزة الامن لدى أصحاب الاماكن التي تستأجرها مؤقتا لطردهم ، حتى أصبحت في النهاية بدون مكان ثابت) فانها بشكل أو بآخر كانت تواصل نشاطها ، وذلك ـ بالطبع ـ أدى الى ان يلقى الشعراء والكتاب اعضاء هذه الجمعية ، ضروبا مختلفة من الحصار والقهر ، الا ان ذلك لم يكن مهما في سياق تخبط أجهزة الدولة المختلفة ، ولكن الامر وصل الى حد الاعتقال ... ففي البداية تم اعتقال الناقدين ابراهيم فتحي وخليل كلفت وشقيق الثاني القصاص علي كلفت ، وكان ذلك منذ ثلاثة اشهر تقريبا .

وكانت حكاية اعتقال ابراهيم فتحي خاصة ، مأساة كاملة بحق ، فقد تمت ملاحقته عدة أشهر ، الا انه استطاع الهرب ، وفي أثناء فترة هربه عملت أجهزة الامن ـ عن طريق شركة التامين التي يعمل فيها كمترجم ـ على التشهير به ونشر صوره في جريدتي « الاخبار » و « الجمهورية » عدة مرات ، كاي هارب من وجه العدالة ، أو كاي مختلس او مرتكب جناية أخلاقية ، طلب من المواطن الذي يشاهده الابلاغ عنه لخطورته مقابل منحة مجزية ...

ولكن أي مواطن لم يبلغ عنه ... بل استطاعت أجهزة الامن عن طريق عيونها المبثوثة في الحياة الادبية المصرية ، التوصل الى مكانه وتم اعتقاله .

واذا سالت عن السبب ، لم تجد الا رجع الصدى ، ويتاكد لك عبث اسئلة كثيرة في هذه الحياة الغانية .

ثم قام أعضاء من الجمعية بتلبية دعوة لناد ثقافي في قرية من قرى شبين الكوم ، وبعد انتهاء الندوة تم اعتقال الشعراء أعضاء هذه الندوة وهم : عزت عامر ومحمود الشاذلي واحمد عبيدة ..

وقد تم الافراج عن محمود الشاذلي بعد يومين من الاعتقال لانه لم يعثر في حوزته على أوراق (بالصدفة كان هو الوحيد الذي يحفظ أشعاره) ، أما عزت عامر واحمد عبيدة فلا يزالان معتقلين حتى اللحظة الراهنة ، « متلبسين » باشعارهما المكتوبة ...

وقد حدث ان السيد ضابط القسم الذي تولى التحقيق المبدئي مع الشعراء لم يكن على علم بعلة أحمد عبيدة الطبيعية (فهو أصم) ونادى عليه للمثول بين يدي حضرته فلم يسمع ، فلم يكن منه الا ان قام ولطمه على وجهه . فاستفز عبيدة وأمسك بملابس الضابط الحكومية ، وفي التو انقض عليه الحرس الواقفون عند الباب ، وما رآه عبيدة لم يره أحد . فقد انهالوا عليه ضربا وركلا حتى سقط على الارض وتم نقله للمستشفى اثر تهديد زميله عزت عامر ، الذي طلب حضور الطبيب الشرعي .

وعلى الرغم من ان الطبيب قد أثبت فعلا ان المجني عليه تعرض للضرب المبرح ، فما عسى أن يجدي ذلك في مثل هذه الحال ؟

واذا عدت تسال عن السبب تأكد لك عبث السؤال مرة اخرى في هذه الحياة التافهة الغانية .

وان هذا ـ وتباشير اخرى عديدة ـ ليضاف بالطبع الى رصيد الاعتقالات التي تمت في فترة الحركة الطلابية لعدد من الكتاب المتعاطفين مع الطلائع الجديدة وهم الكتاب الذين تم الافراج عنهم مؤخرا : صافيناز كاظم ، وأحمد فؤاد نجم ، ومحمد سيف ، وسمير تادرس ونبيل الهلالي ، وقد كان لقضيتهم صدى واسع النطاق في كثير من الصحف والمجلات العربية .

* * *

وان ما يحدث الآن في الساحة الثقافية في مصر لا يمكن عزله عن بقية الظروف ، فمن المعروف ان الخطأ في الفنون اذا ساد على هذه الدرجة من الشيوع أصبح دليلا قاطعا في يد دارس هذه الفترة الادبية ، على ان الخطأ ليس في الفنون وحدها ، ولذلك يبدو ان الحرب التي تشن على الثقافة مقصود بها في المقام الاول رجعة متعمدة للوراء ، لان الثقافة في النهاية درجة من الوعي تخشاها السلطة كل الخشية ، فان الاجيال الطالعة من الرافضين تتسلح في المقام الاول ، في حركة نضالها ، بالثقافة . وهكذا تصبح عملية التجهيل « جريمة » حقيقية ، ايمانا بان قيادة الشعوب الجاهلة والمتخلفة أيسر من قيادة شعب مثقف .

وما سبق كله مجرد سرد للاحداث التي سبقت هذه الفترة الانتكاسية الراهنة ، فترة اشاعة التجهيل المتعمد ، وقتل الثقافة ، ولو مجرد الثقافة ، واخراج الجثث من قبورها ، واشاعة الاصوات العفنة ، وعمليات التخدير المنظمة للجماهير ، بفتح أجهزة الاعلام على مصراعيها للاكاذيب والاعمال ذات المستوى الهابط ، والاغنيات التافهة ، والمسلسلات التي تدغدغ الحواس المبتذلة في الجماهير .

ان هذه الفترة لم تشهد لها مصر مثيلا في العصر الحديث ، بهذه الدرجة من الحدة ، والوضوح ، وسيادة اتجاه عام من الابتذال .

ويجب التنبيه الى ان خطورة هذا لا تخص فقط الحياة الثقافية في مصر ، بل انه يساهم فعليا في قتل الاجنة البازغة في انحاء الوطن العربي ، كما يساهم في تفتيت وعزل المنجزات الثقافية في كل الوطن . فبانقضاء دور مصر الحضاري ، تفقد كل المنجزات في الوطن العربي كله ، رافدا هاما وأساسيا ، يغذي مسارها المتشوق

الى آفاق اكثر رحابة ، ويساهم في القضاء على بوادر التغيير الكيفي الذي نشهد آثاره بالفعل في مجال الثقافة العربية .

ان الامور تجري على هذه الدرجة من البشاعة والقبح ، فان عزل الكتاب ومنعهم من الكتابة ، على كونه مبدأ يجب ان يقابل بالرفض والادانة ، فان أغلب هؤلاء قيم حقيقية تحرص على أن تظل في مواقعها ، وان تتمكن من قول كلمتها . ان اي كاتب لديه ادنى قدر من الشرف والشعور بالكرامة ليدين عزل هذه القائمة الطويلة (ما يزيد عن ١٥٠ كاتبا وصحفيا) ، ومنعهم عن الكتابة والنشر ، وتعريضهم للجوع ، وقفل سبل العيش أمامهم (١) ، وان هذا مقصود به في المقام الاول كتم هذه الاصوات التي وضعت نفسها في موقف جديد ، مع الطلاب المصريين ، الذين يرفعون الآن ، وبصلابة وشرف ، راية النضال من أجل الديموقراطية .

لقد وضع توفيق الحكيم نفسه ، هو والكتاب الشرفاء في مصر ، في موقف جديد مشرف ، وأصدروا بيانا يؤيدون فيه مطالب الطلاب الديموقراطية ، والتي هي في النهاية مطالب الجماهير العريضة ، التي تتحمل وحدها أعباء هذه المرحلة الحرجة ، اقتصاديا وسياسيا ونفسيا (٢) . وكان أن أقفلت كل مجالات النشر في وجوههم ، وخربت وزارة الثقافة كل مشاريعها ، الوزارة التي من المفروض انها وزارة خدمات ، بحجة « الخسارة المادية » ، كما توقفت حركة اصدار الكتب التي تصدر عن الهيئات الرسمية ، حتى ليجد القارىء المصري نفسه في حالة جدب يحيط به من كل اتجاه .

ان جميع مجلات وزارة الثقافة في مصر قد أقفلت ، ولم يعد ثمة كتاب جاد يمكنه الظهور عن طريق مؤسسة رسمية ، وانسحب ذلك بالتالي على المؤسسات الخاصة (مسايرة لجنون الموافقةالعامة) وقد عملت دور النشر الرسمية وغير الرسمية بنشاط محموم على نشر أعمال أنيس منصور ، ويوسف السباعي ، ومصطفى محمود ، وابراهيم الورداني ، دعاة الرجعية والتخلف .

ان ملامح الصورة القبيحة هذه ، ليخجل المرء من ذكرها : صالح جودت ، المعروف بمدحه للملك وكل الملوك ، الضحل الثقافة (حتى ليتردد الواحد في تصنيفه مع الكتاب الرجعيين انفسهم !) والذي يحيي ليالي السلاطين بكلامه الرديء مقابل زجاجات الويسكي وخراطيش السجائر ، ها هو ذا يتولى رئاسة تحرير الهلال وكتاب الهلال والكواكب ، ويعمل جاهدا على نشر غثاء زملائه من التافهين...

---

(١) بلغنا أخيرا ان خدمة الاستاذ محمود أمين العالم قد أنهيت في الشهر الماضي بموجب مرسوم جمهوري بناء على تقرير قدمه وزير الثقافة الاستاذ يوسف السباعي ...

(٢) هذا الموقف يعكس مواقف الشرفاء من الكتاب ، كما هو النقيض لموقف مجموعة من الادباء ردت على بيان توفيق الحكيم ببيانات مضادة أصدرتها بقصد تشويه موقف الكتاب المصريين الحقيقي . فقد أصدر يوسف السباعي واتباعه بيانا مضادا يؤيدون فيه اجراءات القمع والعزل هذه ، كما يبايعون على الاستمرار في ذلك .
ثم أعقب بيان يوسف السباعي بيان آخر دعا له رجاء النقاش يؤيد فيه نفس مطالب العزل ، ولكن هذا البيان لقي الرفض الكامل من جميع الكتاب ، كما فشلت جميع محاولات رجاء النقاش التالية للقيام بمسيرة تؤيد الوضع الراهن ، وهذا في النهاية ليدعو للعجب والحيرة ، لان رجاء نفسه قد شملته اجراءات العزل التي تمت اثر التغيرات التي حدثت في ١٥ مايو ١٩٧٢ ..

وانا ويا للعجب نرى روايات الهلال ، ربما لاول مرة بهذه الحدة ، تسقط وفي كل عدد تقدم رواية مضحكة واعلانا متكررا في جميع مجلات دار الهلال موضوعا موضع الصدارة ، ينبىء القارىء عن رواية له يصفها بانها « حدث في الادب العربي بقلم الكاتب الكبير صالح جودت » .. وحتى مجرد الخجل من الاعلان عن النفس ، لا يحسه ولا يشعر به !..

علاوة على ذلك فاننا قد أصبحنا نسمع عن تافه آخر يسمى ابراهيم الورداني ، يحاول تنصيب نفسه — في ظل ظروف القحط هذه — كاتبا كبيرا ويا للهول !..

ولقد انتهى الامر بوزارة الثقافة المصرية ، الى اصدار مجلة كهذه المسماة « الجديد » والتي لا صلة لها ولا علاقة ، حتى بمجرد الجدة . وتطبل اجهزة الاعلام وتزمر محاولة انقاذها من سقوطها الفعلي ، حتى على مستوى التوزيع ، دون طائل . ويطالعنا الدكتور رشاد رشدي برواية تلو مسرحية تلو مقال ، ويرد على عشرات الخطابات الوهمية باعتباره « استاذا » ، وهو الذي يرتكب نفس جريمة التجهيل السائدة في مصر ، وتكمل اللعبة ، وعلى طريقة دار الهلال ، ليطلع علينا الدكتور نفسه بسلسلة مطبوعات الجديد ، واي غثاء هي !

ان من المخجل ، على سبيل المثال ، ان نذكر مسالة عزل الدكتور لويس عوض وعبد العزيز الاهواني وعبد الحميد يونس ، واحلال صالح جودت واحسان عبد القدوس وعبد الرحمن الشرقاوي في أماكنهم بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ، الهيئة التي من المفروض انها أعلى هيئة رسمية ، تتولى الاشراف على مقدرات الثقافة في مصر ، بدءا من تقديم جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية ، الى نشر الاعمال الاولى للكتاب المبتدئين .

وتحاول الاجهزة الرسمية ، في الوقت الحاضر ، وعلى رأسها دار الهلال ، القيام بلعبة احتوائية للشباب ، ولكن حتى هذا لم تستطع القيام به مع شاب واحد موهوب بالفعل . فتصدر الهلال ملحقا أدبيا أسمته « الزهور » بقصد نشر اعمال الشباب ، وهؤلاء جميعا ، دعك من يوسف الشاروني وأمثاله ، في عمر الشباب بالفعل، ولكنهم في النهاية حواريو يوسف السباعي ، وصالح جودت ...

وامعانا في التخبط ، نشهد الآن دعوة نشرت في الصحف المصرية ، عن قيام وزارة الثقافة المعنية ، بعمل ثلاث مجلات ، واحدة للنقد ، لم يعلن اسم رئيس تحريرها المرتجى ، وأخرى للقصة يرأس تحريرها ابراهيم الورداني (أي والله !) ، وثالثة للشعر يرأس تحريرها صالح جودت (أي والله العظيم !) .

ان الامور — ونكرر — لم تصل في مصر في أي فترة سابقة الى هذه الدرجة من الهيافة والتفاهة والسطحية ، فالثقافة فيمصر أصبحت خرابا بالفعل . ولقد انتهت الامور الى الحالة التالية :

— جميع مجلات وزارة الثقافة (الفكر المعاصر . المجلة . المسرح . السينما) مقفلة . ولم تبق سوى مجلة الكاتب ، باصرار على استمرارها من المشرفين عليها (مقابل القيام بدور التمويه ربما) وباعانة شهرية هزيلة ، وهذه المجلات جميعها أقفلت في الفترة الاخيرة .

— الدار القومية متوقفة عن نشر الكتب ، وبين حين وآخر تطلع علينا بخبر نشر مشاريع ضخمة (كاصدار معجم لاروس بالعربية) ،

في الوقت الذي هي عاجزة عن اصدار الكتب الخفيفة قليلة التكاليف !

ـ جريدة « المساء » (الصفحة الادبية) مقفلة امام المواهب الحقيقية التي كانت تجد فيها لبعض الوقت متنفسا ، تستطيع منه ان تقول شيئا ، ولو انه لا يصل بقدر كاف الى مساحة اوسع من القاهرة والاسكندرية وما حولهما .

ـ الملحق الادبي للاخبار ، تحول بفضل نشاط انيس منصور الملحوظ ، وبشكل صريح ، الى ملحق فني يتابع اخبار الممثلين والممثلات ، وينشر صورهم الفاضحة (ليس كل الفضيحة) ، وفي اسفل كل صورة تعليق صغير على بطلة الفيلم العظيم القادم الممثلة الشهيرة ، باعتبار هذا التعليق نقدا ... وهكذا تمتد الجريمة الى النقد السينمائي .

ـ آخر ساعة ، والقسم المخصص للادب فيها (وكان دائما ينشر اعمال يوسف السباعي) ولكنه قد غدا ينشر اعمال الكاتب الروحاني ، داعية الخزعبلات والتخاريف انيس منصور . وبين حين وآخر تفاجئنا المجلة بقصة او رواية مسلسلة من تاليف احد الضباط او الاطباء اصدقاء احد المسؤولين ، او من شاكلهم !

ـ القسم الادبي بجريدة الاهرام ، بالطبع شمل جميع كتابه من الادباء قرار العزل ، فلم يعد يتوقع القارىء منه شيئا ، سوى مقال بين حين وآخر للدكتور حسين فوزي في الموسيقى او ادب الرحلات، ولم يعد يكتب نجيب محفوظ به منذ مدة طويلة ، وكذلك يوسف ادريس ولويس عوض الخ ... وهكذا يمكن ان يقال ان الاهرام اصبح خرابا ايضا .

العدد الاسبوعي من جريدة « الجمهورية » ، كان دائما يطلع علينا بقصص تافهة ، وروايات تعتمد على الاعلانات المثيرة التي تسبقها ، لكتاب من الدرجة الرابعة ، كثروت اباظة ، وعباس الاسواني ، ولكنها قد غدت تنشر لضابطين وعدة مديري عموم ، لا يحسنون مجرد الكتابة في مواضيعهم نفسها ، ويشك الواحد في معرفتهم الكتابة والقراءة ...

ويطلع علينا ابراهيم الورداني ، في كل عدد اسبوعي، بصاروخياته الموجهة الآن للكتاب المعزولين باقذر الشتائم واسفلها ...

هذه هي الصحف الاربع المصرية كما نرى ، على هذه الدرجة من الضحالة ، علاوة على ما ينشر فيها من مقالات سياسية لكتاب النفاق ، والتزوير ، والتجارة بالذمم ، وتشويه الحقائق ، هؤلاء المتخلفين الطالعين علينا من العصر الحجري .

اما الملحق الادبي لمجلة « الطليعة » فقد غدا ميتا وهزيلا ، واصبح مجرد تغطية شهرية لما يحدث في ساحة الفن التشكيلي والسينمائي ، ومقال بين حين وآخر ، ولكنه لم يعد يؤدي دوره السابق ، في مطلع صدوره .

★ ★ ★

واما مجلة « الجديد » فقد قامت من اساسها لتؤدي دورا تخريبيا، تقدم نتاجا هزيلا وبين حين واخر تفاجىء القارىء بقصة او قصيدة مترجمة لكاتب عالمي في ترجمة هزيلة مشوهة بالطبع ، لانها تعتمد على مترجمين تستاجرهم من مكاتب الترجمة ، او المشتغلين بالقطعة ، وهكذا تشوه النتاج الانساني ، وكلنا يعرف ادعاء الدكتور رشاد رشدي المضحك بانتمائه لمدرسة اليوت ؟ وهو ادعاء لا يستند ـ حتى ـ الى اي قدر من الاصالة ، واعداد المجلة ، وتاريخ الدكتور السابق كله تقول ذلك بصراحة ليس بعدها صراحة .

وفي دوريات دار الهلال ، فقدت مجلة الهلال دورها العظيم السابق ، وغدت تنشر مقالات هزيلة وقصصا واشعارا تافهة للجثث التي بدات تطلع علينا من القبور ..

والملحق التابع لهذه المجلة (الزهور) قد اصبح بالفعل مجالا يجد فيه ماسحو الجوخ ، التافهون من الشبان ، فرصة لنشر غثائهم الذي يدعون انه ادب ، وها هي ذي فرصة سانحة لتجد ايها الشاب اسمك « مطبوعا » على الورق ... ويا لها من جنيهات هزيلة مقابل كل ذلك ، ويا له من تلفيق على حركة الشباب ! ولقد كان كل هؤلاء معزولين بالفعل من الحركة الحقيقية للكتاب الشبان، وكانوا دائما موضع السخرية والاهمال ، فقد اثبتوا ضحالتهم وخيانتهم بطريقة قاطعة ، وهنيئا لكم ايها الصغار ، فالسيد رئيس التحرير يصدر كل عدد بالترحيب بكم ، وعلى كل غلاف كلمة ترحيب بالناشئة التي تعمل الزهور « على فتح الابواب امامها ومساعدتها لكي تقف على اقدامها الهزيلة » وهكذا نجدهم قد فقدوا حتى حس الكرامة !

وكتاب الهلال لم يصدر عددا ذا قيمة منذ تولي الادارة الجديدة اموره ، بل انه اصبح يتاخر عن الصدور في موعده المعتاد ، ويطلع كل شهرين او ثلاثة بعدد تخريبي لكاتب من الدراويش الذين كثر عددهم في صحافتنا الغراء ..

و« المصور » مخصصة بالطبع لسيلان الاعمال التافهة ، والتي تكتب في الاساس لتمجيد الوضع الحاضر لرئيس تحريرها ..

هكذا تبدو الصورة معتمة الى هذا الحد ، وها قد وصلت الامور في مصر الى هذه الدرجة ، وان اي محاولة جديدة تطلع باخبارها الصحف ، في محاولة لايهام القارىء ، بان ثمة في الافق جديدا سوف يحدث (كالمجلات الثلاث المذكورة) ما هي الا محاولة لاكمال الصورة الهزيلة ...

ان على الشباب خاصة ، وكل الكتاب الحقيقيين ، التنبه الى محاولات الاحتواء ، وعليهم مواصلة النضال باي شكل من الاشكال، والتجمع خارج اطر المجلات الرسمية ، لكشف ما يحدث من اعتقالات وعزل وقتل للثقافة في مصر .

ولا ينس كتاب مصر الشرفاء ان هناك اصواتا مخلصة للثقافة المصرية والثقافة العربية عامة ترتفع خارج مصر ، مؤيدة بشرف نضال الادباء المصريين الشرفاء .

« ع »

صدر حديثا

في الادب الليبي الحديث

الكتاب السابع للناقد المصري

احمد محمد عطية

نشر دار الكتاب العربي بطرابلس الغرب ـ
الجمهورية العربية الليبية